عراك فى معترك ...

أى معـــترك !

للأستاذ زكى طليمات

(بقية المنشور فى العدد ٣٢٨)

بعد هذا التمهيد ننزل إلى مناقشة الأستاذ متولى ، وإن كنا فى غنى عن ذلك

يدعى الأستاذ، حفظه الله، أن بشر فارس فى مقدمة مسرحيته « أراد أن يفسر الفنون الرمزية فطمسها » . وحجته فى ذلك كما يقول : « أن بشر فارس يحدثنا فى مقدمته بالنزوع الصوفى ناسياً الفرق بين الرمزية الصوفية التى تفيض عن المخيلة والشعور ، والرمزية الفنية التى تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلى ، كما يقول (ريبو) فى كتابه (المخيلة الخلاقة) » وهكذا يقرر متولى أن بشر يخلط بين ألوان الرمزية !

وقد رجعنا إلى هـذا الكتاب وتتبعنا ما ذهب إليه متولى فوجدنا — ويا للعجب — أن كلام (ريبو) لا ينطبق على ما عناه متولى بالرمزية الفنية ، بل هو كلام ينطبق على الرمزية الصوفية إذا اتجهت نحو ما وراء الطبيعة. وإلى القارئ نص (ريبو) كما ورد فى كتابه المذكور المطبوع فى باريس صفحة ١٩٦ :

"Orienté dans le sens religieux, le symbolisme mystique suppose deux éléments principaux; l'imagination et le sentiment. Orienté dans le sens métaphysique (ou philosophique), il suppose l'imagination et un élément rationnel assez faible."

وترجمة هذا : « إن الرمزية الصوفية فى اتجاهها إلى الدين تعتمد على عنصرين أساسيين ، هما المخيلة والشعور . فإذا ما اتجهت إلى الفلسفة أو ما وراء الطبيعة ، فإنها تعتمد على المخيلة مضافاً إليها عنصر عقلى واهن »

وعليه فالأستاذ متولى هو الذى يخلط خلطاً صريحاً بين (الرمزية الفنية) وبين (رمزية ما وراء الطبيعة) ، على ما فى كلام (ريبو) من الوضوح !

وقد تحدث (ريبو) عن هذه (الرمزية الفنية) فى غير هذا المقام[1] ، وذلك عند معالجته الرمزية فى الأدب ، أو بعبارة أخرى ، عند حديثه عن المخيلة الخاصة بطريقة الأدباء الرمزيين فى أواخر القرن التاسع عشر ، وهى مخيلة تقوم على قوة العاطفة والانفعال .

* * *

وثمت نصف آخر : يقول الأستاذ متولى ، مستنداً إلى (ريبو) أيضاً : « إن الرمز فى الفن هو أن يفقد بعض الألفاظ استعماله المعقول المعروف ليدل على معنى جديد » ، وعلى ذلك فمتولى يخطئ بشر فارس إذ يقول فى مقدمة مسرحيته: إن الرمز الذى بنيت عليه المسرحية « بعيد أن يكون لوناً من التشبيه أو الكناية إلى غير ذلك من ضروب المجاز بل هو صورة، أو قل سرب صور ينتزعها المنشئ من المبذول »

ونحن لا نعرف وجهاً لهذه التخطئة إلا أن يكون كلام بشر خارجاً عما يفهمه متولى من الرمزية . ويؤسفنا أن نذكر متولى بحقيقة كان يجب ألا تغيب عن ذهنه ، وهى أن بشر فارس حر فى أن ينحو النحو الذى يوافق هوى نفسه من ألوان الرمزية المستحدثة ، وأن يعرض عن (ريبو) . ويؤسفنا أيضاً أن نقول لمتولى ، إن الرمز عند (ريبو) — وذلك فى حدود الجملة السابقة لا يخرج عن (المجاز) ، إذ المجاز عندنا (هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة) ، ومن ذلك ما يعرف فى باب (الكناية) بالرمز ، وهو الكناية التى قلّت الوسائط فيها وخفيت

وغريب ألا يفطن متولى إلى هـذا ، لا سيما بعد أن نبه بشر فارس إلى ابتعاد طريقته عن مثل هذا الرمز ، فأورد فى (مقدمته) : « إن مسرحيته مجراة على الطريقة الرمزية إذا شئت » ، ثم وضع بشر بعد ذلك فصلاً فى هذه المجلة شرح فيه لم قال « إذا شئت » ، فدلّ على أن الرمزية التى انساق إليها وارتاح ، هى شىء بين (التأثرية) و (التعبيرية) ، وقوامها الحياة الباطنة ، واعتمادها الاضطراب الدفين ! ...

* * *

من هذه المآخذ المتسفة فى نقد مقدمة المسرحية ، انساب الأستاذ بقلمه إلى المسرحية نفسها متسائلاً « ما قيمتها كقطعة رمزية ؟ » وسرعان ما أفتى بعد ذلك ، وبلسان (ريبو) ، فقال « إن ريبو فيلسوفنا نفسه يقرر أن الرمزية تستخف بتمثيل العالم الخارجى تمثيلاً صادقاً ... فإذا الناس والأشياء لا تتطبع بزمان أو مكان ... وقد تمعن فى الإبهام فتقول هو — أو — هى — أو —

(١) نفس الكتاب ص ١٦٩ — ١٧١

أحدهم » ، فهل هذا محتوى فى مسرحية بشر فارس بعد أن أسمى بطلة مسرحيته (سميرة) ، وبعد أن حدد المكان الذى جرت فيه حوادث المسرحية وهو مصر ؟

وجوابنا على هذا :

١ — أن (ريبو) قال « وقد تمن » ، و« قد » هنا للتقليل ، وكان أن رجعنا بدورنا إلى النص الفرنسى فوجدنا أن « قد » هذه تساوى كلمة « Quelquefois » أى أن الإمعان فى الإبهام ليس أمراً لازماً

٢ — لو أحسن الأستاذ متولى استيعاب التبيين الذى عمله بشر عن شخوص مسرحيته فى النسخة المطبوعة لأحجم عن هذا المأخذ ؛ فقد جاء فى ذلك التبيين أن (هو) — أى بطل المسرحية — عنوان الإنسان المادى المنشأ فى حلقة المواضعات الاجتماعية » أما (سميرة) ، فقد بيّن المؤلف فى نفس التبيين أنها أمرأة معينة . فمن المعقول أن يكون البطل (هو) لأنه عنوان لفئة غالبة من الرجال فى مصر ، وأن تكون (سميرة) ـ سميرة ـ لا (هى) ، لأنها ليست عنواناً لفئة خاصة

٣ — أن الأستاذ متولى أشكل عليه الأمر بين لون الرمزية عند (ريبو) وبين لونها عند بشر فارس ، وأنه يعتبر رمزية (ريبو) هى ما انتهت إليه الرمزية المستحدثة . والأمر غير ذلك ، فإن (ريبو) لم يفرض لونه فى الرمزية إلا على بعض الكتاب الرمزيين فى أواخر القرن الماضى ، وفى مقدمتهم المؤلف المسرحى (ماتيرنيك) الذى وضع أكثر رواياته قبل عام ١٩٠٠ . فهل يريد الأستاذ متولى ، وقد قطعت الرمزية مراحل بعد (ريبو) ألا يؤلف المعاصرون الذين يعيشون فى عام ١٩٤٠ إلا بحسب نظرية عمرها نصف قرن تقريباً ؟

بعد هذا نقول إنه ليس للأستاذ متولى أن يفرض على مؤلف معاصر وضع مسرحية رمزية وفاقاً لحرجات نظرية فلسفية سجلت عام ١٩٠٠ ، وهو العهد الذى كان الأدب الرمزى فيه لم يتخط طوره الأول . وإنه لا يجمل بالأستاذ متولى — وهو ماجستير فى الفلسفة — أن يقف عليه بالرمزية وعلم النفس عند ما كتبه العلماء فى القرن الماضى ، فالعلم يتقدم ، والنظريات تتحور ، وإلا فما قيمة ما كتبه (بيرجسون) و (وليم جيمس) ، وهما العلمان البارزان فى عالم الفلسفة المعاصرة ، وما نفع مسايرة الأدب للعلم فى تقدمه وفى مستحدثاته ؟

زكى طليمات

قداسة النقد

لبرنارد شو

لا يمكن للحضارة أن تتقدم بلا نقد ، ولذلك يجب أن تنقذ نفسها من الركود والتعفن بأن تعلن براءة النقد ، ولكن هذه البراءة لا تكون للآراء الطريفة اللذيذة ، أو الحكيمة المحترمة فقط ، بل أيضاً للآراء التى تصدم من لم يألفوا النقد وتبدو لهم كأنها داعرة أو ثورية أو تدعو إلى الزندقة والكفر ؛ ولمن يدافع عن إبليس فى حق البقاء إذ لعله يكون بشيراً للمستقبل . وهناك صعوبة فى التمييز بين الناقد والمعتوه والمجرم ، وكذلك بين حرية القول وحرية العمل . فقد يكون من الضرورات الحيوية اللازمة للأمة أن تجيز لأحد الأشخاص الدفاع عن المرى ، ولكن قد لا يكون من الصواب أن تترك هذا الشخص يسير وهو عريان فى شارع كبير فى لندن . وكذلك الحال فى كارل ماركس ، فإنه كان مقدساً حين كان يكتب ويؤلف فى الاشتراكية فى قاعة المتحف البريطانى . ولكن لو أن كارل ماركس هذا رفض أن يؤدى أجرة منزله لصاحبه ، وأرسلها بدلاً من ذلك إلى وزير المالية ، وقتل وكلاء المالك الذين جاءوا لتحصيل الأجرة ، أو أطلق الرصاص على المحضرين الذين جاءوا لتوقيع الحجز على أثاثه أو إخراجه من المنزل ، لما استطاع أن يدفع عن نفسه حكم الإعدام بالشنق بدعوى حرية النقد . ومعنى هذا أنه لا يمكن للقاضى أن يأذن للناقد بالعمل وفق نقده إلا إذا غير القانون . ونحن ناقصون فى التربية المدنية نقصاً خطراً حتى إن كثيراً منا يحسبون أن لهم الحق المطلق فى تغيير أخلاق الأمة لمجرد أنهم هم غيروا آراءهم . ومن الناس من لا يفهمون غير المعنى الغامض للاشتراكية ويعتقدون أنها تعنى حالاً من الاجتماع ينزل فيه كل إنسان عن كل ما يملك لكل إنسان آخر . ويسألوننى من وقت لآخر لماذا لا أنزل عن ممتلكاتى وأعيش فى فقر ما دمت اشتراكياً ؟ ومن الناس من يتخيلون أن الاشتراكيين يجب ألا يقتنوا السيارات . وقد أوشك بعض هؤلاء أن ينجحوا فى أن يجعلوا اقتناء رئيس الوزارة لسيارة خاصة من المسائل العامة التى تستدعى البحث والمناقشة ، وذلك حين كان المستر مكدونالد اشتراكياً . ولو أن هؤلاء المتوهون أدركوا حق الإدراك ما يقولونه لعرفوا أنهم مخطئون حين يفرضون أن الناقد الذى يكره النظام القائم يمكنه أو يجب عليه أن يعيش كما لو كان يعيش فى طوباه ، أى فى النظام الخيالى الذى يتخيله . وذلك أن كل ما يمكنه أن يحسب شاذاً فى بعض سلوكه الذى تتسامح فيه الهيئة الاجتماعية .

اسكندر البطرسى